

ابن تيمية وحياته الحافلة بالعطاء الجزء الثاني

الكاتب: أبو إسحاق الحويني



الحمد لله رب العالمين، له الحمد الحسن والثناء الجميل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يقول الحق وهو يهدي السبيل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد: فإن مسألة شد الرحال إلى القبر، انتصرشيخ الإسلام ابن تيمية في هذا البحث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) وقد ذكر علماء العربية والأصول: أن نفي الاستثناء يفيد الحصر (الإلا)، وإذا وجدت في الكلام أعلم أن المعنى محصور على ما ذكر بالنص، لا إلا إلا الله، هذه (الإلا) أدلة استثناء، فعندما يأتي على الاستثناء النفي ، يبقى محصوراً: لا إلا إلا الله، فنفي الألوهية عن كل أحد إلا الله، فيبقى أنه ثبت للمذكور في الكلام ونفاه عن ما عداه، فأثبتت الألوهية لله ونفها عن كل من عداه، فعندما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) أي: لا يجوز شد الرحال إلا للمسجد، فإذا شددت الرحال إلى المسجد والقبر بالمسجد فإنك تذهب لزيارة القبر، ولزيارة القبر آداب وهي: كذا وكذا .. يبقى: هلشيخ الإسلام ابن تيمية يحرم زيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام؟! ما قال هذاشيخ الإسلام وإنما قال: لا يجوز أن تخرج من بلدك وقد نويت شد الرحال إلى القبر وحده، لكن انو شد الرحال إلى المسجد والقبر في المسجد، فستحصل زيارة القبر تبعاً، لكن لا تكن النية أصلاً مخصصة للقبر دون المسجد، ولذلك أفتىشيخ الإسلام ابن تيمية على أن الرجل إذا خرج من بيته وقال: سأزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم، أن هذا سفر معصية، ولا يجوز له أن يقصر في سفره الصلاة، ولا يجوز له أن يفطر في رمضان؛ لأن هذه الرخص هي في السفر إلى الطاعات للامعاصي .

فلو الآن انفصل قبر النبي عليه الصلاة والسلام عن المسجد لوجدت بعض

الناس يزور قبره ولا يدخل المسجد؛ لأنَّه خرج لا ينوي الصلاة في المسجد إنما نوى زيارة القبر، وهذا غلوٌ نهى النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه وقال: (اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنَّا يَعْبُدُ) وقد صار وثناً عند طائفة من الناس الذين ينتسبون لآل البيت وعلى رأسهم الشيعة في كل طوائفهم.

قبل سنوات أرادت إدارة المسجد النبوى أن تغير نوافذ تكيف الحجرة النبوية، وتجعل التكيف والمواصير من فوق، فأرادوا أن يدخلوا الإسمنت والحديد ويرفعوا المواصير حاجت الرافضة وقالوا: يريدون أن يهزوا القبر، فما اجترءوا على أن يصلحوا شبكة التكيف؛ لأن للرافضة دولة في مكة والمدينة، فأشاعوا أن الوهابيين يكرهون النبي فأرادوا أن يهدوا القبر بدعوى إصلاح التكيف، وما شعروا إلا ومكة والمدينة ملأته بالناس من الذي عمل هذا؟ هناك غلاة الروافض، هم المسؤولون على مكة والمدينة.

فشيخ الإسلام ابن تيمية عندما قرر هذه الحقيقة اتهموه بأنه يحرم زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام.

والشيء الآخر الذي أريد أن أذكر به طلاب العلم هو: لابد أن تعلموا أن أعظم شيء يثبت العلم هو الإخلاص في طلبه وأدائيه، شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كان رجلاً ذاكراً، يقول شمس الدين الذهبي تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية : كان له أورادٌ يدمتها ، وكان كثير الفكر، رابط الجاش، لا يترك الجلوس بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس أبداً، ويقول: هذه غدوتي لو تركتها نقصت قوائي، وكان إذا سئل مسألةً أو أشكلت عليه ولم يتبيّن وجه الصواب يكثر من الاستغفار، حتى كان يقول: إذا أشكل على شيء من الجواب ذكر الله ألف مرة .. ويزيد، وأستغفره ألف مرة .. ويزيد، حتى يفتح عليه.

أما غيره من طلاب العلم والعلماء إذا أشكل عليهم شيء قالوا: لابد أن نروح عن أنفسنا ونرفعه عليها! وكل واحد من طلاب العلم يقول: أنا أحس بملل إذا نذهب رحلة ترفيهية، كل هذا من أجل أن يفتح له! لا يفتح لك في العلم الشرعي إلا إذا أتيت الأمر من بابه، كما فعل شيخ الإسلام فإنه يكثر من الاستغفار، وكان يقول: لقد ذهبت إلى الخلوات - التي ليس فيها أحد من

أقربائه- فأمرغ وجهي في التراب، وأقول: يا معلم إبراهيم علمني، فلا يرجع إلا وقد فتح له، وكان مباركاً في التصميم والكتابة واللغة، حتى تحس بأن واحداً يقذفك بالحجارة، الفاظه قوية تحتاج إلى قاموس، وشيخ الإسلام ابن تيمية جعل الفقه سهلاً مبسطاً حتى إذا قرأت في كتب الفقه تحس أنك لا تريد أن تتوقف عن القراءة، لقد قرب الفقه إلى الناس، يقول ابن القيم في الوابل الصيب: وقد رأيت منه شيئاً عجبياً، كان يكتب في ليلة ما ينسخه الناسخ في جمعة. يعني: يمكنه أن يكتب في ليلة هكذا وواحد ينسخ لنفسه نسخة في أسبوع ينقل فيه الكلام، من الأولى بالوقت والحاجة هذه؟ الذي ينسخ بلا عقل، أو الذي يبسط ويرتب الأدلة؟ لا شك أن الذي يأتي بالأدلة يحتاج إلى وقت، يعني: يقعد يكتب في ليلة كذا، كلمة مثلًا ورقه، وواحد ينسخ لنفسه نسخة يمكنه أن ينسخ في أسبوعاً ينقل فيه الكلام.

فالذي يريد أن ينسخ يحتاج أن يرتب الأدلة والمواضيع وينظر إلى النسخ، وهذا بلا شك أنه يحتاج إلى وقت كبير، أما ابن تيمية فكان كالسيل الهادر إذا كتب أو تكلم.

نبوغ ابن تيمية في اللغة والشعر

جاءه رجل نصراني وقد صنف قصيدة يعترض فيها على القضاء والقدر، ويقول فيها هذا السؤال: الظالم العاصي إذا كتب الله عليه المعصية فلم يعذبه؟! ولهذا فإن الرجل كتب أبيات شعر مختومة بحرف التاء يعترض فيها على الله ويحتاج بالقضاء والقدر، وببدأ قصيدته بقوله:

ألا يا علماء الدين والدين دينكم

قال الذين حضروا هذه الواقعة وهم كثرة: فاعتذر شيخ الإسلام في جلسته، وثنى رجله يكتب عليها ورد عليه بمائة بيت على نفس الوزن والقافية. يستطيع الواحد أن يكتب شعرًا جميلاً، يفتح فيه الخيال؛ لكن الشعر العلمي صعب، لأنك تريد أن تنظم فيه قواعد شرعية في قوالب شعرية، فرد ابن تيمية على النصراني في مائة بيت، وسميت التائية ولها شروحات.

تأليف ابن تيمية للصارم المسلول

علمتم الآن لماذا سلط المبتدعة كل هجومهم على شيخ الإسلام ؟ لأنه هو الذي كسر شوكتهم وأظهر دغلمهم.
أتنبه فتوى: أن رجلاً يشتم الرسول عليه الصلاة والسلام، فما حكم الدين فيمن سبّ الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

فجلس .. وكتب كتاباً اسمه (الصارم المسلول على شاتم الرسول) تقلب كفيك عجباً من كثرة استحضاره لكلام العلماء فقط، دافع فيه عن الرسول عليه الصلاة والسلام، ومعظم إجاباته كتب.

ورأى فخر الدين الرازي ألف كتاباً في تقديس العقل، فرد عليه في إحدى عشر مجلداً أسماه: دراً تعارض العقل والنقل، فأتى على كتابه من القواعد، حتى قال ابن القيم : لم يطرق سمع العالم كتابٌ مثله.

ابن المظہر الحلي شيعي تهجم على الصحابة وقال: إنهم أخذوا الخلافة من علي ، والرسول صلی الله عليه وسلم نص على خلافة علي بنص قطعي، فجاء الصحابة فكتموا وما توا على النفاق، وهناك أدلة تثبت أن علياً هو أولى بالخلافة من أبي بكر والصحابة كتموا هذا، فرد عليه في تسعه مجلدات في كتاب: (أسماء منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة القدرية) وأتى ببيانهم من القواعد، وفنّد كل شبهة أوردوها بصحيح النص وصريح العقل.
هذا الرجل له علينا جميعاً منه .. كل الجماعات الإسلامية الموجودة الآن على الساحة استفادت من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، ليس هناك جماعة على وجه الأرض تنسب إلى أهل السنة والجماعة من قريب أو بعيد إلا وشيخ الإسلام ابن تيمية معظم عندهم.

لذلك ظن بعض الجهلة أن شيخ الإسلام ابن تيمية هو سبب التطرف، فقال: مطلوب أحمد بن تيمية حياً أو ميتاً، ولا يعلم الجاهل أنه مات منذ أكثر من سعمائة سنة، فكان حياً أو ميتاً ويستحسن حياً لإغاظة الأعداء، لماذا ؟ لأن كل هذه الجماعات رجعت إلى دين الله عز وجل بفضل ذاك الرجل وتلميذه ابن

قييم الجوزية رحمه الله.

سيرة شيخ الإسلام سيرة مبهرة، أنسح كل طلاب العلم أن يقتنوها، وليس للرجل ترجمة واحدة، بل تراجم، والذي وقفت عليه وهو قليل نحو ثلاثين ترجمة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ما بين مجلد كبير وكتيب بسيط، تقرأ حياة الرجل، وتترسخ خطاه، ولا زالت السيرة العملية والعلمية لعلماء المسلمين هي درس كل الباحثين، إذا أتاك الفتور اقرأ سير هؤلاء تقوي من همتك، وتعلم أن خلف الإنسان بقدر ما ترك من الحق بين الناس، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة .. وذكر منها: علم ينتفع به) .

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكلم.
اللهم اغفر لنا ذنبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.
اللهم قنا الفتنة ما ظهر منها وما بطن، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تسلط علينا بذنبينا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا.

رب آت نفوسنا تقوتها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت ولها ومولها.
اللهم اغفر لنا هزلنا وجتنا، وخطأنا وعمدنا، وكل ذلك عندنا.

الكلمات المفتاحية:

#ابن-تيمية #الحويني

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.